

مؤتمر المخطوطات المترجمة بمكتبة الاسكندرية ودورها في التواصل الثقافي والحضاري

إعداد : رضوان السيد

فيما بين 29 مايو والأول من يونيو عام 2007 عقدت إدارة المخطوطات بمكتبة الإسكندرية مؤتمرها الرابع للمخطوطات العربية، وكان هذه المرة عن المخطوطات المترجمة إلى العربية ومنها عبر العصور خلال قرابة الألف والخمسمائة سنة الماضية. فعلى مدى تلك العصور الممتدة كانت المخطوطات وسيلة رئيسية من وسائل التثاقف والتواصل الأدبي والعلمي والحضاري.

امتد المؤتمر على مساحة أربعة أيام، بمعدل أربع جلسات في اليوم الواحد، وأقيمت فيه زهاء الخمسين محاضرة، وشارك في الإلقاء والحضور كبار الأساتذة العرب والعالميين من المختصين بالتراث العربي والإسلامي العلمي والفلسفي والأدبي واللغوي. وقد غلبت على محاضرات اليومين الأولين بحوث المخطوطات العلمية (الرياضية والفلكية والفيزيائية والكيميائية المترجمة إلى العربية ومنها). كانت المحاضرة الأولى في المؤتمر للأستاذ المعروف عالمياً في بحوث تاريخ العلوم العربية والإسلامية الدكتور رشدي راشد (الحاصل هذا العام على جائزة مؤسسة الملك فيصل في الدراسات العربية والإسلامية) بعنوان: ترجمة النصوص العلمية بين اللغات اليونانية والعربية واللاتينية. وقد تحدث الأستاذ راشد عن مشكلات الترجمة العلمية وقضاياها، ثم ضرب مثلاً على ذلك بكتاب المخروطات لليوناني أبولونيوس. فقد تُرجم في القرن الثالث الهجري إلى العربية، ثم تُرجم في القرن الثاني عشر الميلادي من العربية إلى اللاتينية بأسبانيا. وقد قارن المحاضر المتخصص في تاريخ الرياضيات بين الأصول اليونانية والأصول العربية، وتأثير الترجمة إلى اللاتينية على هذا النقل المثلث. وقد تبين له أن الترجمات دقيقة، وأن العرب أضافوا إيضاحات ومعادلات على النص الأصلي أفاد منها المترجمون والرياضيون اللاتين. وبذلك تحققت شراكة علمية بارزة عبر أجيال متطاولة من الرياضيين والباحثين. وكان كتاب أبولونيوس في (العناصر) موضوعاً لباحث إيطالي في المؤتمر هو لويجي مايرو. فحتى القرن السادس عشر ما كان الأوروبيون قد وجدوا من كتاب أبولونيوس المذكور باليونانية غير الأجزاء الأربعة الأولى. ثم اكتشفوا في القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر الترجمة العربية للأجزاء الأربعة الأخيرة والتي أنجزها ثابت بن قرّة في القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري). وعلى هذه الترجمة عمل عدة علماء عرب ومسلمين شرحاً وإيضاحاً وإضافة، وقد بقيت كل تلك الإنجازات في مخطوطات عربية توالى حتى القرن السابع الهجري. وجمع ذلك كله وتحقيقه تحقيقاً نقدياً

تبينت تلك السلسلة من التعاون العلمي عبر الترجمة خلال العصور القديمة والوسيطه.

و درس الأسباني باسكال كروزيه ترجمات كتاب العناصر لإقليدس. وقد أوضح الباحث أنّ الكتاب تُرجم ثلاث مرات منذ أواخر القرن الثاني الهجري وإلى أواسط القرن الثالث. قارن الباحث الترجمات الثلاث، وبخاصة ترجمة حنين بن إسحاق، ملاحظاً أنّ تكرار الترجمة سببه أهمية الكتاب في الرياضيات. لكن تلك الترجمات أيضاً تُتيح الاطلاع على تطور المصطلح واللغة العلمية بالعربية. وحاضرت البروفسوره هيلين بيلوستا عن ترجمة كتاب منيلاوس في الفلك الرياضي. وهو بسبب صعوبته تُرجم وعُمل فيه وعليه شرحاً وإيضاحاً أكثر من خمس مرات. وقد قارنت المحاضرة بين المخطوطات من حيث الدقة في النقل والفهم. ولاحظت أنّ علماء الفلك والرياضيات أسهموا في تصحيح الترجمات بسبب معارفهم الواسعة رغم عدم معرفتهم باليونانية. ودرس روبرت موريسون مسألة الترجمة بين العربية والعبرية. ففي القرن الثاني عشر قدم البطروحي إسهامات كبرى في تحسين الهيئات الفلكية من خلال كتابه: (صُور الأفلاك السماوية). ثم بعده بقرنين كتب ابن خميس اليهودي بالعبرية كتاب (نور العالم) الذي حاول فيه فهم عمل البطروحي وتطويره. وقد لاحظ موريسون أنّ المترجمين والعلماء اليهود تواصلوا مع المخطوطات العربية بطريقتين: كتابة المخطوطات العربية بالعربية لكن بحروف عبرية، أو النقل والترجمة من العربية إلى العبرية ثم منها إلى اللاتينية.

وجاء الياباني ساساكي شيكارا بجديد طريف حين قارن بين ترجمات الكتب الرياضية إلى اليابانية والصينية من اللغات الأوروبية، والترجمات العربية عن اليونان للكتب ذاتها.

وقد اهتمّ الباحث الدكتور عصام الشنطي بالمشكلات التي أحاطت بترجمة كتاب أرسطو في الحيوان من الإغريقية إلى العربية. أنجز الترجمة الأولى للحيوان يحيى بن البطريق الذي كان يعرف اليونانية والسريانية جيداً، ولا يعرف العربية باتقان. ولذلك لاحظ الجاحظ ولاحظ ابن النديم أنّ الترجمة رديئة. ولذلك أيضاً أقبل العرب على ترجمة الكتاب ثانية (إسحاق بن حنين؟)، وفقدت الترجمة الأولى التي قام بها ابن البطريق؛ والتي اضطر لاستخدامها كثيرون في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي.

واهتمّ كلٌّ من الأستاذة المعروفة أميرة حلمي مطر، والدكتور أحمد شحلان (أستاذ اللغة العبرية بجامعة محمد الخامس) بنوع آخر من أنواع التواصل الحضاري مركزه ابن رشد. فقد عمل ابن رشد على شرح أعمال أرسطو المترجمة إلى العربية وبثلاث كفاءات: شرح صغير، وشرح متوسط أو تلخيص، وشرح طويل. وعندما لم يجد مخطوطة مترجمة لكتاب أرسطو في السياسة شرح أو لخص جمهورية أفلاطون (!). والمهم في هذا السياق، أنّ شروح ابن رشد بُدئ بترجمتها إلى العبرية واللاتينية بعد وفاته بمائة عام وقد كان ذلك من حسن الطالع؛ لأنّ بعض تلك النصوص الرشدية ضاع أصلها العربي وبقيت في الترجمات فقط. وقد قامت أميرة حلمي مطر (التي كانت أستاذة اليونانية والفلسفة القديمة بجامعة عين شمس) بدراسة شرح ابن رشد للجمهورية مترجماً إلى الإنجليزية من العبرية

مرتين على يد كلٍ من إزورن روزنتال، ورفل ليرنر. أمّا الأستاذ أحمد شحلان والذي ترجم تلخيص ابن رشد عن العبرية مباشرة، ونشره بدراسةٍ وتقديمٍ من جانب المفكر المعروف محمد عابد الجابري بمركز دراسات الوحدة العربية ببيروت؛ فإنه قرأ مفاعيل الترجمات ونتائجها من خلال عمل ابن رشد وعمل المترجمين وعمله هو.

وحظي دورُ اليهود في التواصل من خلال ترجمة أعمال ابن رشد وغيره إلى العبرية فاللاتينية ببحثٍ من جانب الدكتور محمود مكي، باحث الأندلسيات المعروف أيضاً. سمّي د.مكي المترجمين اليهود، كما سمّي العلماء الذين نبغوا بالأندلس بتأثير الحضارة العربية. في حين أقبل قسطنطين كانا قاس على دراسة مخطوطة ابن أميل في الحيمياء والمسماة: (كتاب الماء الورقي والأرض النجمية)، ومحمد صالح الضالع على قراءة كتاب ابن سينا: (أسباب حدوث الحروف) والكلام الصناعي. ودرست أميلي كوراتيل كتاب حياة □يثا غوراس المترجم عن الإغريقية (وربما السريانية) إلى العربية، والعلاقة بين الأصلين. وعُني المؤرّخ المعروف أيمن فؤاد سيّد بالترجمة من اللاتينية إلى العربية وهي حالة نادرة والمثل عليها تاريخ هوروشيبوس الذي عرفه ابنُ خلدون ونقل عنه (بأولوس أوريوس: تاريخ العالم، والذي ألفه بتكليفٍ من القديس أوغسطين، وامتدّ حتى العام 416م). ويضيف أيمن سيّد إلى من نقل عنه: ابن جُلجُل والمقريري. وقد نشر عبدالرحمن بدوي الترجمة العربية للكتاب عن النسخة الوحيدة الباقية. وكان الطبيب السوري محمود المصري قد نشر كتاب أبي زيد البلخي: مصالِح الأبدان والأنفس، وهو في المؤتمر تقدم ببحثٍ عن حفظ الصحة أو الطب الوقائي ومصادره اليونانية، كما تبدو في كتب الطب العربية.

وكان حنين بن إسحاق حاضراً في سائر أعمال المؤتمر بسبب كونه صاحب مدرسةٍ في الترجمة من اليونانية إلى العربية. ولذلك خصّه الألماني غوتهارد شتروماتير ببحثٍ درس فيه رسالته عن ترجمات كتب جالنيوس الطبية والأخلاقية والفلسفية (وهي رسالة طبعت مراراً من جانب المستشرقين، ومن جانب عبد الرحمن بدوي). كما ذكر حنين بن إسحاق في سياق حديث مرناز كاتوزيان – صفدي عن رسالة الرازي صاحب الحاوي في (الجدري والحصبة) وترجماتها.

وحظيت العلاقة بين العربية والسريانية باهتمامٍ خاص. فدرس أحمد رحيم هبّو تلك العلاقة من ضمن الصعلات بين اللغات السامية. ودرست فائزة عبد الفتاح عز الدين نقول قصة الإسكندر بين الإغريقية والسريانية والعربية. وعمل هزار أبرم على قصة الحكيم أحيقار الآرامي التي كتبها لسناحاريب الأشوري (705-681 ق.م)، وكيف انتقلت وتعددت في آداب الأمم لدى الأشوريين والمصريين واليونان والسريان والعرب. وتحدث مجدي عبد الرزاق سليمان عن حركة الترجمة من القبطية للحبشية وأثرها في الفكر الإثيوبي.

وبنفس القدر من الاهتمام حظيت الترجمات من البهلوية (الفارسية الوسيطة) إلى العربية. درست سميرة عاشور نقول الطبري والمسعودي عن الكتب المترجمة من الفارسية إلى

العربية. وهناك من يرى أنّ الفارسية كانت وسيطاً بين الهندية والعربية أيضاً. وقد عقد ابن النديم في الفهرست فصلاً عن النقلة من البهلوية إلى العربية ذكر فيه خمسة عشر اسماً. ومن أهم ما ترجم كتاب خُداي نامه، وكتاب أبيين نامه والكرنامج وتاج نامه. وتحدث مجدي عجمية عن تأثير الرسائل الديوانية الفارسية على مثيلاتها العربية. وذكر الباحث أسماء الكتاب الفرس في الإسلام والذين ألغوا في ذلك منذ القرن السادس الهجري. في حين تحدث س بيكوك عن الترجمات من العربية إلى الفارسية الحديثة بدءاً بترجمة البلعمي لتاريخ الطبري.

وتقدمت أنا رضوان السيد ببحث في المؤتمر بعنوان: النصّ الكلامي العربي باللغة الألمانية: أبو رشيد النيسابوري (-461هـ/1068م) نموذجاً. ذكرتُ فيه أنّ المستشرقين الألمان دأبوا على الكتابة عن المعتزلة استناداً لنصوص الأشاعرة عنهم. لكنهم في تسعينات القرن التاسع عشر عثروا على نصّ النيسابوري في مخطوطة بمكتبة الدولة ببرلين فسارعوا إلى ترجمته للألمانية مرتين (1902، 1910) دون أن ينشروا النصّ بالعربية كاملاً. وهو بعنوان: المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين. وظل الباحثون في علم الكلام المعتزلي وفي علم اللاهوت المقارن والفلسفة الطبيعية يعتمدون عليه (لأنه مترجم) إلى أن اكتشفت نصوص معتزلية أخرى، وكتبُ أخرى في الجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزأ.

ودار محوران أخيران عن الببليوغرافيات، وعن أدبيات الترجمة ومشكلاتها. تحدث أحمد شوقي بنبين عن نقل فهرس الغزيري لمكتبة الإسكوريال (والمكتوب باللاتينية) إلى العربية. وتحدث كمال عرفات نبهان عن أقدم مشروع ببليوغرافي للترجمة إلى العربية كما يظهر في رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى عن آثار جالينوس، ويظهر في الفهرست لابن النديم. وتحدث رفعت هلال عن المخطوطات المترجمة بدار الكتب المصرية. ثم تحدث رشيد بنجدو عن الترجمة من منظور جمالية التلقي. ومحمد فكري عن أسئلة الأصل والنسخة والتلقي في المخطوط والترجمة. ومحمد يسري سلامة عن موقف العلماء المسلمين من حركة الترجمة ونقل علوم الأوائل. وبيتر غران عن تأثير الترجمة عن العربية في النهضة الإيطالية. ويان ويتكام (أستاذ الخطوط والتراث القديم والكوديكولوجيا بجامعة ليدن) عن المخطوطات العربية وتأثيراتها في ثقافة جنوب شرق آسيا. ومحمود حمزة عن الترجمة والاستعراب بين العرب والروس.

لقد كان مؤتمراً حضارياً وأكاديمياً حافلاً. وسيكون لبحوثه عندما تُنشر تأثيرٌ كبيرٌ في الحركة الثقافية، والعلاقة بين الحضارات.